جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية/ قسم التاريخ
السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
مقياس الإستشراق وتاريخ الغرب الإسلامي السنة الجامعية: 2022-2023
الأستاذ إسماعيل بن عبد الله

ملخص المحاضرة الأولى: مفهوم الاستشراق

الاستشراق: مصطلح متداول منذ القرن التاسع عشر، وهو ترجمة للكلمة الإنجليزية (Orientalism)، وقد ظهر بالضبط في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة 1838، بينما سبقه استعمال مصطلح (مستشرق) لأول مرة في اللغات الأوربية عام 1630 عندما أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية.

تعريف الاستشراق:

أ- لغة:

كلمة مُوَلّدة عصرية، وبالاستناد إلى قواعد الصرف نلاحظ أن كلمة (استشراق) مصدر الفعل (استشرق)، الذي بعض حروفه مزيد وبعضها الآخر أصلي.

أما المزيد فهي: الألف والسين والتاء، التي تستعمل للطلب، كقولهم: أستغفر الله؛ يعني: أطلب المغفرة. اسْتَفْهَمَ : إذا طلب الفهم، واسْتَنْصَرَ : إذا طلب النصر. وتستعملان بمعنى التحول والانتقال كقولهم: استحجر الطين؛ أي: صار حجرًا، وكقولهم: استنوق الجمل، أي: صار الجمل كالناقة في طباعها، ومنه المثل: إن البغاث بأرضنا يستنسر.

وأما الحروف الأصلية في لفظ (استشرق) فهي: شَرَقَ؛ الشين والراء والقاف: أصل واحد يدل على إضاءة وفتح، من ذلك: شرقت الشمس؛ إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت. . . والشرق: المشرق. . . والشرق والغرب: إذا قيلا بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلعي ومغربي الشتاء والصيف، وإذا قيلا بلفظ الجمع فهذا باعتبار مطلع كل يوم ومغربه، أو مطلع كل فصل ومغربه، والتشريق: الأخذ في ناحية الشرق، يقال: شتّان بين مشرّق ومغرّب، وشرّقوا: ذهبوا إلى الشرق، أو أتوا الشرق.

من هذه المعاني اللغوية يتبين المدلول اللُّغوي للاستشراق والمستشرقين وفقًا لما عرَّفه صاحب معجم متن اللغة بقوله: (استشرق: طلب علم الشرق ولغاتهم)، ويقال لمن يقوم بذلك مستشرق، والمُسْتَشْرِق: اسم فاعل من استشرق، وجمعه مستشرقون، ولما ينجزوه استشراقًا.

ب- اصطلاحًا:

لا يوجد تعريف متفق عليه للاستشراق، وعليه عُرف هذا الأخير بتعريفات عدّة على حسب مواقف وتوجّهات أصحابها، فبعضهم يتناول الاستشراق من حيث موضوع دراساته أو أسلوبه في تلك الدراسات أو منطلق البحث أو غايته أو ارتباطاته الدينية والسياسية وحركته، وبعضهم الآخر يتناول المستشرقين أشخاصًا وفئات.

أما **المراد بلفظة (الشرق)** ففيه **مُسَلَّمَات** من الناحيتين الجغرافية والموضوعية، ويَرِد عليه بعض **الاعتراضات** في بعض القضايا وبخاصة ما يتعلق منها بمدلول الشرق والغرب في الإسلام، وعلى الرغم من ذلك فإن نطاق الاستشراق والمستشرقين قد (اتسع مع الأيام في ناحية وضاق في ناحية أخرى؛ اتسع في الناحية الجغرافية إذ ضمَّ إلى دراسة المشرق العربي دراسة المغرب العربي، وضاق في الناحية اللغوية والدينية؛ إذ انصب اهتمام معظم المستشرقين على دراسة الإسلام في عقيدته وشريعته

وتاريخه، وانصب اهتمامهم كذلك على دراسة اللغة العربية بعد أن درس معظمهم عدة لغات شرقية من هندية وصينية وغيرهما بلهجاتها المتنوعة، مما يدل دلالة واضحة على أن هدف الاستشراق والمستشرقين هو الإسلام ومفتاحه اللغة العربية، ولا غير في ذلك فإن الإسلام هو مصدر عزة الشرق وقوته المعنوية والحسية؛ ولأنَّ (الإسلام هو صلب الشرق، فإذا وهن الإسلام وهن الشرق كله).

فالمسلّمات المشار إليها آنفًا هي:

-كون الأرض من حيث طبيعتها الجغرافية مقسومة إلى شطرين شطر تشرق منه الشمس ويسمى المشرق أو الشرق، وشطرها الآخر تغرب فيه الشمس ويسمى المغرب أو الغرب، ومن المسلّم به لدى العالم أجمع كون أيام الأسبوع والشهر تبدأ من شرق آسيا وتنتهي بأمريكا.

-ومن ناحية أخرى فإن التمايز الحضاري والثقافي بين الأمم المسلمة الواقعة شرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط والأمم الواقعة شماله وغربه من المسلّمات، فقد تشكلت حضارة وثقافة ترتكز على الإسلام في جملتها في الشعوب والأمم الواقعة شرق وجنوب البحر المذكور، بينما سادت ثقافات وحضارات خاصة بشعوب أوروبا وأمريكا وحتى روسيا.

وكون التقسيم يعتمد على الثقافة والحضارة فهذا مُسَلَّمٌ به، ولكن مصطلح الشرق والغرب في هذه الناحية الموضوعية **ليس مُسَلَّمًا به، بل الأولى تغييره إلى الغرب والإسلام**. إذ أن الدراسة التي يقوم بها المستشرقون تخضع للمصطلح السياسي الذى يقسّم العالم إلى شرق وغرب، ويقسّم الشرق إلى الشرق الأقصى: وهو البلاد التي تقع في أقصى شرق آسيا، والشرق الأوسط: وهو المنطقة الجغرافية التي تضم اليوم: تركيا، وإيران، والعراق، وسورية، ولبنان، وفلسطين، والأردن، ومصر، والسودان، وشبه جزيرة العرب، وقبرص، والشرق الأدنى: ويشمل بلاد المغرب العربي. وترجع هذه التسمية بهذا التقسيم إلى ما تعارفت عليه الدول الاستعمارية التي قسّمت مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية في تلك البلاد، ويظل الغرب رمزا للسيادة عليها، ولذا فإن الدراسات الشرقية قلّما تتناول اليهودية والنصرانية مع وجودهما في هذه المناطق، وإنما تعني الإسلام. وعليه فالمقصود بالشرق جغرافياً ما وقع شرق وجنوب القارة الأوربية، من بلاد العرب والمسلمين سواءٌ في آسيا أو أفريقيا .

وأما **مدلول الشرق والغرب في الإسلام** فإنه يُحدّد غالبا بجزيرة العرب مهد الإسلام ومهبط الوحي، فما كان شرقها فهو المشرق والشرق، وما كان غربها فهو المغرب أو الغرب، وهذا ما درجت عليه الأمة الإسلامية في تاريخها القديم والحديث، سوى ذلك التردد الطفيف حول بلاد مصر حيث يجعلها بعضهم من المغرب الإسلامي بينما يجعلها الأكثرون تابعة للمشرق الإسلامي، وقد شاع في العصر الحاضر (مصطلح الشرق الأوسط كمصطلح جغرافي وسياسي حتى شعوب العالم الإسلامي اعتادت هذه التسمية التي أطلقها عليهم الآخرون، مع أن المقصود بها وبالشرق الأدنى والشرق الأقصى تقسيم العالم الشرقي إلى أقسام حسب البعد والقرب من أوروبا. . . والذي يتحكم في تحديد هذه المسميات هي المصالح الغربية والمطامع السياسية وفقًا للظروف التاريخية ومراكز القوى الدولية).

من خلال ما سبق يمكن القول أن حدّ الاستشراق استقر على أنه: **حركة فكرية غربية درست ولا تزال تدرس في الغالب الأعم حضارة الإسلام والمسلمين من جميع جوانبها، لكنها ركزت دراساتها وأبحاثها في مجملها على اللغة العربية والدين الإسلامي بهدف التأثير والسيطرة على الأمة الإسلامية، كاحتواءها تارة، ونفي تميّزها تارة، والتشكيك في دينها تارة أخرى...، وتحقيق سيادة الغرب وهيمنته على العالم الإسلامي بخاصة، ومحاولة تبرير هذه الهيمنة بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية. وأما المستشرقون فهم الذين يقومون بهذه الحركة الفكرية من غير الشرقيين، بشرط الانتباه الدائم لما يحمله**

هذا اللفظ من تجوُّزٍ في دلالته القاضية بإخراج باحثي الشرق من دخول مسمّاه كالمستشرقين الروس وغيرهم من أهل الشرق جغرافيا.

وقد أضاف أحد الباحثين بعض الزيادات ليشمل التعريف نطاقًا أوسع مما يتصوره الطالب، فقال بأن الاستشراق: **"هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين (شرقيين وغربيين بما في ذلك السوفييت وغيرهم)، وأمريكيين من دراسات تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الاجتماع، وفي السياسة أو الفكر أو الفن، كما يلحق بالاستشراق كل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغاتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية، أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم. كما أن من الاستشراق ما يخفى علينا مما يقرره الباحثون والسياسيون الغربيون في ندواتهم ومؤتمراتهم العلنية أو السرية. ويمكننا أن نلحق بالاستشراق ما يكتبه النصارى العرب من أقباط وماروني‌ين وغيرهم، ممن ينظر إلى الإسلام من خلال المنظار الغربي. ولا بد أن نلحق بالاستشراق ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين، وتبنَّوا كثيرًا من أفكار المستشرقين حتى إن بعض هؤلاء التلاميذ فاق أساتذته في الأساليب والمناهج الاستشراقية، ويدل على ذلك احتفال دور النشر الاستشراقية بإنتاج هؤلاء ونشره باللغات الأوروبية على أنها بحوث علمية رصينة أو ما يترجمونه من كتابات بعض العرب والمسلمين إلى اللغات الأوروبية".**

الأستاذ إسماعيل بن عبد الله